المورد

مجلة تراثية فصلية محكمة

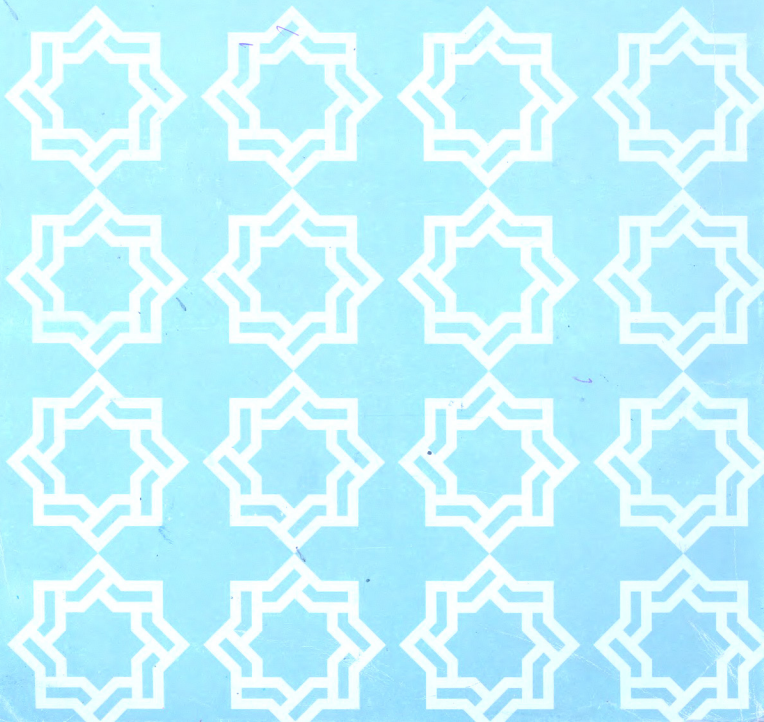

تحفة العبيد فيما ورد في الخيل والرماية والصيد

محسن جمال الدين

جاورت (مكة المكرمة) ثمانية أشهر وتزيد. فدرست في معاهدها العالية. واتصلت بشخصياتها الأدبية البارزة ، وسرت في دروبها ومنعطفاتها ، سائلاً منقباً عن أهم آثارها التاريخية ، ومعالمها الاسلامية . وترددت على خزائن مخطوطاتها العامة وبعض الخاصة . وكانت أهم الخزائن في نظري واجتهاد رأيي (مكتبة الحرم المكي الشريف)[1]. ومكتبة (مكة المكرمة) [2] دار مولد الرسول الأعظم (ص). كما زرت (المدينة المنورة) أياما معدودات . وتعرّفت على سماتها الاسلامية ، وآثارها العربية . واتصلت بخزانة شيخ الاسلام (عارف حكمت)[3] . ومن حق العلم عليّ ، وواجب (التراث العربي) تجاه مسؤوليتي الأدبية. ان أقوم بتعريف ووصف ما عثرت عليه من النوادر المغمورة .

وها اني أقدم اليوم (مخطوطة) من مخطوطات الحرم المكي ، وهي رسالة عربية في (الصيد والرماية والخيل) اسماها مؤلفها بأسم (تحفة العبيد ، فيما ورد في الخيل والرماية والصيد)[*] .

التعريف بالمؤلف :

هو الشيخ ابراهيم بن ولي بن نصر جحا بن حسين الأمير ، الفقيه (برهان الدين) الذكري (المقدسي) ثم (الغزي) الحنفي ، السباهي . سبط شهاب الدين أحمد التميمي الدارمي . ويعرف بأبن ولي [4] .

لم تشر المصادر التي بين يدي عن تاريخ ولادته . ولكنها أرّخت سنة وفاته في عام ٩٦٠ هـ. المصادف ١٥٥٣ م . فهو من اعيان (القرن العاشر) الهجري . كما ترجمه (الغزي) في كتابه (الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة) [5] .

زار الشيخ (برهان الدين) ابن ولي حلب وبغداد . وكان كما وصفوه لطيف المذاكرة ، حسن المحاضرة . يشتغل بالعربية ، ويتعاطى

---

(١) سأفرد دراسة مفصلة عن هذه (الخزانة).

(٢) سأفصل بعض مجتوياتها والتنويه بأهم ما فيها .

(٣) لي ملاحظات عن حالة هذه المكتبة وما حل فيها .

(*) أرجح ان يكون عنوان المخطوط « تحفة العيد .. الخ » .

(٤) راجع / عن ترجمة المؤلف : الكواكب السائرة للغزي : ج /٢ ص/٨١ .
وشذرات الذهب . لابن العماد ج/٨ص/٣٢٥. ومعجم المؤلفين . لكحالة ج١/ص/١٢٤ . كما اشار عن مؤلفه . حاجي خليفة في كشف الظنون رقم / ١٧٩٧ والبغدادي فى ايضاح المكنون ج/١ص/٢٥٤ والمرحوم الشاعر عبدالستار القرغولي فى كتاب النفحات المسكية ص/٩٨ .

(٥) نشر الكتاب الدكتور « جبرائيل جبّور» عام ١٩٤٩ بثلاثة مجلدات لسنوات متفاوتة .

الأدب • له منظومة في النحو اسماها (البرهانية) لكتاب الآجرومية • وهي من مقدمات النحو [٦]•

لم يعاصر من العلماء المشاهير كصاحب (شذرات الذهب) (ابن العماد الحنبلي) [٧] ولكنه عاصر ابراهيم بن يوسف الحنبلي الحلبي ، وهو مؤرخ آخر من اعيان القرن العاشر الهجري •

وله نظم تغلب عليه صفة الصناعة اللفظية ، حيث لم يكن أديبا بارزا ، وشاعرا مرموقا • بل كان يسير في شعره على طريقة المدرسة التعليمية ، التي لا تنبعث أشعارها بالفطرة والسليقة ، بل يغلب عليها التفنن بالنسيج ، والاهتمام بألالوان•

وكان عصر المؤلف ، عصرا تغلب على طابعه العام الالقاب الرنانة ، والاسماء الكبيرة ،والمظاهر المتعالية !!

ومن شعره قوله : [٨]

قال الفؤاد مقالات يوبخني
لما رآني على طول من الأمل
ان ليس تنفعُ أقوال تقررها
مالم تكن عاملاً بالفعل يا (ابن ولي)

وقال على لسان رسالته (في الصيد والرماية والخيل) عندما قدّمها باسم الوزير العثماني (رستم باشا) سنة ٩٥٠ هـ [٩] •

تقول رسالتي بلسان حالٍ
ترى في (غزة) أبدي وأختمْ
فقلت : نعم إذا ما صرت يوما
بحضرة اعظم الوزراء (رستم)

اما عصره : فهو العصر العثماني الأول • في أيام مجده وفتوته • عصر السلطان الغازي (سليمان خان الأول) الذي دام ملكه (٤٨) سنة• وتوفي سنة ٩٧٤ هـ • وضمّ من الشخصيات البارزة (الوزير الاعظم ، والمدبر الأفخم ، آصف الزمان في الدولة السليمانية ، وملاذ أهل السيف والقلم في السلطنة العثمانية ، الوزير (رستم باشا [١٠] •

وصف المخطوطة :

تنضمّ هذه المخطوطة في مجموعة (مكتبة الحرم المكي الشريف) تحت رقم (٣٤ أدب) • طولها تسعة عشر سنتمترا ، وعرضها احد عشر سنتمترا ، ومجموع اوراقها تسع وستون ورقة • غلافها مذهّب مع النمنمة ، الزرقاء ، والخضراء ، والعناوين محلاة بالذهب ، والكتابة مع عناوينها بالالوان الزاهية الاحمر ، والازرق ، والاصفر • تضم الصفحة الواحدة سبعة أسطر • وخطها فارسي •

لم تمر المخطوطة على ايدي كثير من المالكين، ولكنها كانت موقوفة على خزانة الصدر الاعظم (محمد رشدي باشا الشرواني) بمكة المكرمة • كما تملكها عبدالكريم شيخ آل عثمان سلطان أحمد سنة ١١٣٠ هـ • واقتنتها مديرية الاوقاف العامة بمكة المكرمة وختمتها باسمها سنة ١٣٥٥ هـ •

مقدمتها :ـ « الحمد لله الذي أباح لعباده الأصطياد ، ورغب فيه ملوكهم ووزراءهم ومتعهم بآلاته والخيل الجياد • واطاع لهم الجوارح بالتعليم وجعلها في غاية الانقياد • والصلاة والسلام

---

(٦) الآجرومية : لابن آجروم محمد بن داود الصنهاجي (١٢٧٣ ـ ١٣٢٣ م). ولد ومات بفاس ودرس بمصر وكان على مذهب الكوفيين في النحو .

(٧) هو (ابو الفلاح) المعروف بابن العمادالحنبلي صاحب شذرات الذهب ـ المتوفي بمكة المكرمة سنة ١٠٨٩ هـ .

(٨) راجع (الكواكب السائرة) ج/٢/ص/٨١ .

(٩) رستم باشا (١٥٠٠ ـ ١٥٦١ م) سياسي ، وصدر اعظم عثماني . تزوج من ابنة السلطان سليمان مؤرخ تركي من مصنفاته (تواريخ آل عثمان) . راجع / الموسوعة العربية ص / ٨٦٦ .

(١٠) مقدمة المخطوطة ص/٥

على افضل من تلا المنزل باباحة الصيد على العباد ، وعلى آله واصحابه الذين شمروا عن ساعدهم للجهاد والاجتهاد » [11] .

وقد رتب المؤلف كتابه على : مقدمة ، وفصلين ، وكتاب .

اما المقدمة : فكما وردت اشتملت على تفسير ماورد في القرآن الكريم من فضل الخيل والرماية.

واما الفصلان : ـ فالأول : فيما ورد في السنة النبوية في فضل الخيل ورباطها في سبيل الله. وغير ذلك فيما يتعلق بالموضوع .

واما الثاني : فيما جآء في السنة في فضل الرماية .

واما الكتاب : ـفقد ضمّ فصلين أحدهما في السمك وصيده . والآخر فيما يؤكل وما لا يؤكل . والمؤلف في طريقته واسلوبه الكتابي ، يحاول دائما ان يسند قوله في الآيات القرآنية ، والاحاديث النبوية . مع ذكر سندها ومصدرها .

وقد يستشهد نادرا بأبيات من الشعر ويعتمد على اقوال الأئمة الاربعة اصحاب المذاهب المعروفة، واجتهاداتهم . وخاصة اقوال الامام أبي حنيفة (رض) . لانه حنفي المذهب ، وفي المخطوطة تصحيف وركة عبارة ، ستر عيبها جمال الخط ، وحسن التزويق والتجليد !!

وفي آخرها : تمت الرسالة واسأل الله الهداية والتوفيق في كل حالة . ألفها العبد الفقير ابراهيم بن ولي الذكري الحنفي السباهي بغزة وخادم العلم الشريف بها ، والمفتي بها بالنقل . حسبة لله تعالى .

وكان الفراغ في اواخر شهر ذي القعدة ٩٥٩ هـ . والفراغ من كتابته في اواسط شهر صفر سنة ٩٦٠ هـ . أحسن الله ختامها وما بعدها آمين يامجيب المتضرعين »[12] .

اهم محتويات المخطوطة :

اشتملت هذه الرسالة على عدة ابواب نجملها بما يلي : ـ

١ ـ في فضل الخيل : وقد احتل جانبا كبيرا من الرسالة .
٢ ـ في اسماء الخيل .
٣ ـ في نسب الخيل .
٤ ـ في الوان الخيل .
٥ ـ في اسماء خيل السباق .
٦ ـ في فضل الرماية . وما ورد في السنة عنها .
٧ ـ في ذكر الرمي وفضيلته .
٨ ـ في فضل الصيد :
٩ ـ حيوانات الصيد وطيوره .
١٠ـ في صيد الاسماك وخلايا النحل .
١١ـ فيما يؤكل وما لا يؤكل .
١٢ـ فتاوى بعض العلماء واقوالهم في الصيد .

مصادر المخطوطة :

أمّا الكتب التي أخذ منها ، واستمد من مادتها ، في تأليف رسالته فهي : ـ

١ ـ القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف .
٢ ـ كتب المعاجم اللغوية .
٣ ـ أقوال ابي عبيدة ، وابي زيد الانصاري ، والاصمعي ، والكلبي ، والصولي .
٤ ـ بعض مؤلفات المتاخرين من شرّاح الحديث الشريف . وكتب الصحاح . كالقدوري والطحاوي .
٥ ـ بعض الاشعار المنسوبة للامام الشافعي (رض) [13] .

---

(١١) تراجع/ مقدمة المخطوطة ص/١ وما بعدها . هذا وقد اشار الى الآيات الكريمة بشأن الصيد . في سورة المائدة ، الآيات : ٢ و٣ و٩٧ و٩٨ و٩٩ .

(١٢) راجع /ص/١٣٤ ، ١٣٥ من المخطوطة .

(١٣) لمن اراد ترجمة هؤلاء العلماء فعليه بمراجعة كتب الرجال والتراجم ـ والرجوع للأعلام ـ للزركلي ، ومعجم المؤلفين لكحالة ـ وغيرها

نماذج من المخطوطة : ــ

نورد بعض النماذج والمقتبسات من المخطوطة، على سبيل المثال لا الإشتمال • حتى تحين الفرصة المناسبة لاحياء الرسالة وتحقيقها على الوجه الأتم الأكمل بعد العثور على نسخ أخرى منها في الخزائن الشرقية أو المغربية •

قال في أسماء خيل السباق : (١٤)

أولها : المجلي وهو السابق والمبرز ثم المصلي وهو الثاني : ثم المسلي وهو الثالث : ثم التالي وهو الرابع : ثم المرتاح وهو الخامس : ثم العاطف وهو السادس : ثم الخطي وهو السابع : ثم المؤمل وهو الثامن : ثم الفطيم وهو التاسع ، ثم السكيت وهو العاشر • والذي حكي عن العرب السابق والمصلي والسكّيت الذي هو العاشر واما باقي الاسماء فأنها محدثة والتفكّل الذي يأتي آخر الخيل (١٥) •

وجاء في فضل الرماية وتسديد السهم قال : (١٦)

ذكرت ما حكاه (الصولي) قال حدثنا العلا حدثني (١٧) يعقوب بن جعفر بن سليمان • قال غزوت مع (المعتصم) عمورية فاحتاج الناس الى الماء فمد لهم المعتصم حياضا من أدم عشرة أميال وساق الماء منها الى سور (عمورية) وكان رجل من الروم يقوم كل يوم على السور ويشتم النبي (ص) بالعربية باسمه ونسبه فأشتد ذلك على المسلمين ولم يكن يصل إليه النشاب • قال يعقوب : وكنت أرمي رميا جيدا فاعتمدته بنشابة فاصابت نحره فهوى وكبّر المسلمون وسر المعتصم • وقال : عليّ بالذي رماه فادخلت عليه فقال من أنت فانتسبت فقال الحمدالله الذي جعل ثواب هذا السهم لرجل من اهلي ثم قال : بعني هذا الثواب فقلت يا أمير المؤمنين : ليس الثواب مما يباع • فقال : اني ارغبك فاعطاني ماية الف درهم فقلت : ما ابيع ثوابي • فبلغها الى خمسماية الف درهم فقلت : لا ابيع ثوابي بالدنيا وما فيها • ولكن جعلت لك نصف ثوابه وانه يشهد علي بذلك • قال : جزاك الله خيرا قد رضيت بهذا • ثم قال : فأين تعلمت الرماية ؟ قلت : (بالبصرة) في داري فقال : بعنها • فقلت وهي وقف على من يتعلم الرمي • فوصلني بماية الف درهم » •

* * *

إن في هذه الحكاية عبرة ودرسا يعطينا أثر الجهاد والتضحية ، والفتوة ، والبسالة ، والايمان الصادق الذي يدع الانسان مندفعا بحماس في سبيل الدفاع عن حياض أرضه ووطنه وعقيدته • وما قصة فتح (المعتصم) لعمورية وأسباب سير الخليفة العباسي إليها يوم ان سمع شكاية الشريفة العربية المسلمة التي صاحت (وا معتصماه) ! من اثر اهانة احد علوج الروم لها إلّا صورة سامية نحن أحوج الناس اليها اليوم للدفاع عن حرمات العرب والمسلمين التي يلعب بمقدراتها بقايا شذاذ الدنيا ، ونسل التائهين في ماضيات القرون بصحراء سيناء !! •

ومن نماذج الشعر الذي أورده عن وصف (الطرف) وهو الحصان السريع الجري قول الشاعر العربي : ــ (١٨)

غير مستعصم الفوارس طرف
كل طرف لحسنه مبهوتُ

---

(١٤) راجع /ص/٧٢ وما بعدها من المخطوطة .

(١٥) راجع/المخصص لابن سيدة . ومبادىء اللغة للاسكافي . وفقه اللغة للثعالبي . ففيها الكثير من المفردات حول اسماء الخيل وصفاتها

(١٦) /المخطوطة ص /٨٠ وما بعدها .

(١٧) الصولي ــ (ابو بكر محمد بن يحي الصولي) الأديب والكاتب المعروف صاحب (الأوراق) و (ادب الكتاب) وقد توفي سنة ٣٣٥ هـ ولم اعثر على هذه الحكاية الطريفة بما لدّي من مؤلفات (الصولي) . وكان يعقوب بن جعفر عباسي النسب له قرابة بالمعتصم .

(١٨) راجع/المخطوطة ص/٦١ .

هو فوق الجبال وعلٌ وفي السهـ
ـل غزالٌ ، وفي المعابر حـوتٌ

ويستحسن بنا وقد قدمنا صورة مصغرة عن هذه (المخطوطة) ان نورد قائمة من المؤلفات العربية التي عالج بعضها شؤون الخيل ، وبعضها شؤون الصيد ، وبعضها أدوات السلاح من الرماية وغيرها • وتقتصر الان على القديم منها •

في باب الخيل :

١ ــ انساب الخيل ــ للكلبي •
٢ ــ كتاب الخيل ــ لابي عبيدة •
٣ ــ كتاب الخيل ــ لابي جعفر البغدادي •
٤ ــ كتاب الخيل ــ للشيباني •
٥ ــ كتاب الخيل : لابي مالك البصري •
٦ ــ كتاب الخيل : لابي عمرو العتابي •
٧ ــ الاحتفال في استيفاء ما للخيل من الأحوال ، لابن يحي محمد بن رضوان بن محمد الوادي آشي المالكي[١٩] •

في السلاح :

١ ــ اسماء السيف : للشيخ الهروي
٢ ــ التعلم والاعلام في رمي السهام • للحلبي•

(١٩) راجع/ النفحات المسكية ص/٩٦ .

٣ ــ اولى الاسباب في الرمي بالنشاب ــ لابن جماعة •
٤ ــ كتاب السلاح ــ لأبي دلف العجلي •
٥ ــ كتاب القوس ــ لأبي عبيدة معمر بن المثنى البصري •
٦ ــ كتاب السبق والنضال ــ لأبي موسى سليمان الحامض •
٧ ــ النهاية في الرماية ــ لحسين بن اليونيني[٢٠]

في الصيد :

١ ــ كتاب البزاة والصيد ــ لابي دلف قاسم العجلي •
٢ ــ صبح الاعشى ــ للقلقشندي •
٣ ــ نهاية الأرب ــ للنويري •
٤ ــ المصايد والمطارد ــ كشاجم •
٥ ــ البيزرة ــ لبازيارة الخليفة العزيز بالله الفاطمي •

إضافة الى دواوين الشعراء ، وقصص العرب، واخبارهم وفروسيتهم التي تضمها آثارهم الفكرية والأدبية الخالدة ، من كتاب مطبوع ، او مخطوط غفل ، او تحفة فنية منسية •

(٢٠) راجع (المصدر السابق ص/٩٧ وكتاب (السلاح في الاسلام) للقائممقام عبدالرحمن زكي . ص/٣ وما بعدها .